البعد اللغوي في الحكم التربوية عند الزهراء (عليها السلام)

المدرس المساعد
آس عقيل كاظم الموسوي
المديرية العامة لتربية المثنى - العراق
alwia7@gmail.com

The linguistic dimension in Al-Zahra's educational wisdom (peace be upon her)

Asst . Lec.
Aas Akeel Kadhum Al-Mousawi
Education Directorate in Muthanna , Muthanna , Iraq

الملخّص :

دراسة البعد اللغوي في كلام الأئمة المعصومين ينقلنا إلى جملة من التفصحيلات في اختيار المفردة وبناء التركيب، واثر هذه الاختيارات في المعنى الظاهر والعميق ، ثُمَّ الأثر التربوي والأخلاقي المراد من كلامهم (عليهم السلام).

ويمكن تقصي هذا البعد في ادعية السيدة الزهراء (عليها السلام) إذ نلمح التربية التي توجه إليها الزهراء (عليها السلام) الإنسان المؤمن عن طريق اختيار مفردات وتراكيب خاصة، فنجد لغتها تسمو لخطاب الله من قيم روحية وفكرية واجتماعية ودينية فهي تعكس التربية المحمدية التي استقتها من أبيها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو نجد انعكاسات سلوكياتها التربوية الاجتماعية في ما تطلبه من مكارم وما تتمناه.

فلدراسة سيرة السيدة الزهراء- (عليها السلام) - التربوية وما تتضمنه لغتها من صور جلية في ميدان السمو الأخلاقي الديني التربوي ، كان على البحث ان يتعمق في اختياراتها اللغوية وانعكاسها على هدفها التربوي الذي توارثته عن سيد الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم)القائل « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».()

فأدعية الزهراء (عليها السلام) كنز زاخر بالمعاني وبليغة في تقصي حركة الأفعال أثرها في التوصيل والتواصل، وبذلك كانت المفردات جزلة والتراكيب دقيقة والخطاب نقي نابع من نفس تطلب الكمال من غير شائبة وروح أخلصت لربّها في سرائرها وظاهر أعمالها وأفعالها.

الكلمات المفتاحية : فاطمة الزهراء - البعد اللغوي – الحكم التربوية – الإنسان المؤمن – الأدعية – الأخلاق الدينية .

Abstract:

The study of the linguistic dimension in the words of the infallible imams are putting us on a number of details in the selection of the individual word and the sentence structure, and the effect of these choices on the apparent and profound meaning and then the educational and moral effect of the infallible imams' words peace be upon them.

However, this dimension can be followed in Mrs. Al-Zahraas' benedictions (peace be upon her), as we see the educational refinement that Al-Zahraa (peace be upon her) orientate the believer people through the selection of special vocabulary and structures.

Where, her language is superior by containing the speech of God in spiritual, intellectual, social and religious values. Where it reflects the educational system of Mohammed (God bless him and his family) that she was derived from her father, the Noble Prophet, or the implications of her educational and social behavior. And we have found him.

In order to study the educational biography of Mrs. Zahraa and the clear reflection of her language in the field of moral religious education, the research had to deepen in the language choices and reflect on the educational goal, which he inherited from the master of the messengers, saying: I was sent to complete the ethics of noble- good manners.

The treasure of the supplication of Zahra is rich in meanings and eloquence in the investigation of the movement of acts and its role in delivering and communication. Thus, the vocabulary is highly and the structures are accurate and the pure discourse stems from the same perfection that demands perfection and the soul of salvation to its Lord in its secrets and the manifestation of its actions and actions.

Key words: Fatima Al-Zahra , the linguistic dimension , educational judgment , the believer , supplications , religious ethics..

المقدمة :

قبل ان نلج في الوقوف عند البعد اللغوي عند السيدة الزهراء (عليها السلام) في بيان الحكم التربوية نُبيّن معنى التربية :

إن مفهوم التربية في تناولاته المختلفة والمتنوعة ، يظهر بشكل قوي مدى كونيته وشموليته داخل الأنساق اللغوية والفكرية العربية، لكن هذا القول لا ينفي حضوره في السياقات المعجمية العربية ، ولا سيما في المعجم العربي الشهير " لسان العرب" لابن منظور الذي يعرف التربية في بعدها الاشتقاقي وبطريقة فيها نوع من الدقة والتفصيل، إذ يقول: ((التربية : رَبَ ولَدَه و الصَّبِي يَرُبُّه رَبّاً، و رَبَّه تَرْبِيباً و تَرِبَّةً، عن اللحياني: بمعنى رَبَّاه تربية.

و في الحديث: "لكَ نِعْمةٌ تَرُبُّها"، أَي تَحْفَظُها و تُراعِيها و تُرَبِّيها، كما يُرَبِّي الرَّجُلُ ولَدَه)) [1] ،وقال الراغب رحمه الله في المفردات : ((الرب في الأصل: التربية، و هو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه، و رباه و ربه. و قيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن)).[2]

و ((التربية: حسن القيام على الصبى. ربى الصبى و ترباه: أحسن القيام عليه و وليه حتى يفارق الطفولة، كان ابنك أو لم يكن.)) [3] وتعني التربية والتعليم في اللغة العبرية القديمة((أن حنوخ من مادة حانخ العبرية : أيّ إدريس)) . [4]

التربية والوراثة مفهومان متقابلان، والفرق بينهما أن ماهية الأولى التغير وماهية الثانية الثبات، فإذا كان الموجود الحيّ يتغير بتأثير غيره تارة، وبمؤالفة الظروف التي يعيش فيها تارة أخرى، فمرد ذلك إلى التربية، وإذا كان يميل بفطرته إلى الاتصاف بصفات نوعه، فمرد ذلك إلى الوراثة .

يمكن استجلاء البعد اللغوي في ادعيتها (عليها السلام) في محاورتها للبارئ العلي ببيان المفردات المستعملة في مخاطبة الله تعالى كونها أسمى مراحل تهذيب النفس فنجد مثلا قولها (عليها السلام) نقلاً عن أبيها (صلى الله عليه وآله): «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا علمتَ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي وَ تَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي» [5]، تقابل الافعال (علمت)

و(كانت) فان اختيار الفعل علمت في الجملة الأولى متساوق مع مطلبها (أحيني)؛ لأنّها على قيد الحياة وقت القول ولكنها تعلم ان مستقبل الحياة في علم الله تعالى وليس لاحد معرفته، فهي تستنجد بعلمه سُبحانه إذا كان باقي الحياة خيرا لها فهو اعلم بذلك إذ قدر اعمار الخلق وحيواتهم واطلع على افعالهم مسبقًا ، أمّا الموت فهو لحظة انقطاع وهذه اللحظة انتهاء الأعمال والخير والشر للإنسان، ((وأن حب اللقاء مشروط بما إذا أحب الله لقاءه و اختار الموت له فيجب أن يرضى بذلك و لا يكره ما اختاره الله له، و أما إذا اختار له الحياة و هو يتمنى الموت فهو مناف لوجوب الرضا بقضاء الله))[٦] فكأنها قالت لو كانت الحياة شرا لي فأمتني وتوفني إليك قبل هذا الشر.

لكن تأدبها مع خالقها ابعدها عن تلفظ الشر وتخيّرت الخير في الحالين ، وأشارت بان الموت الذي تفر منه النفوس محببٌ لها وهو خيرٌ عندها في حال احتمال الشر في الحياة اللاحقة، ويمكن الإشارة إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة :٩٤)، فطلبها الموت ليس من باب اعتمادها على اعمالها التي تراها صالحة ، فهي لاتشبه من يدعون الكمال والصلاح مع علمها بصلاحها وعصمتها، الذين ((من جملة قبائحهم أنهم كانوا يأمنون من سوء الخاتمة ولا يخافون منها، بل يحكمون بأن الدار الآخرة وما أعد الله تعالى لعباده من الملك العظيم والنعيم المقيم لهم دون غيرهم))[٧] .

كان في حديثها تأدبا بان الله تعالى هو من يقدر صلاح اعمالها، ويجزيها عليها الجنة ، فطلب الموت ابتعادا عن احتمالية اقترافها ما يمس اعمالها الصالحة ويبعدها عن كمالها؛ ((لانّ من اعتقد انه من أهل الجنة قطعا، كان الموت أحب اليه من حياة الدنيا التي فيها النغص، وانواع الآلام، والمشاق، ومفارقتها إلى نعيم خالص يتخلص به من اذى الدنيا))[٨]، يقال إنه مكتوب في بعض كتب النبوات القديمة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا وخوفناكم فلم ترهبوا ونُحنا لكم فلم تحزنوا وقيل إن شعيبا بكى حتى عمي فرد الله إليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد عليه بصره ثم كذلك ثلاثا فقال الله تعالى إن كان هذا البكاء شوقا إلى الجنة فقد أبحتها لك و إن كان خوفا من النار فقد أجرتك منها

فقال وحقك لا هذا و لا هذا ولكن شوقا إليك فقال له لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر سنين.(٩)

وفي لطيفة من لطائف قولها انها اختارت لفظة الوفاة وليس الموت، إشارة إلى ان الوفاة هو توفية حقها من الحياة وانتقالها إلى حياتها الأخرى ، كون هذه الوفاة خيرا لها فهي ليست موت ، إذا ان الاشارات التي توحي بها لفظة الموت تختلف عن الاشارات التي توحي بها لفظة الوفاة ، فالموت قد يكون موت القلب أو الاحساس والضمير، لكن الوفاة هي استيفاء الله تعالى الروح(١٠)، وتوفاه الله ((إذا قبض نفسه. وقال غيره: تَوَفِّي الميت، بمعنى: استيفاء مُدَّته التي كُتبت من عدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا))(١١)، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الزمر: ٤٢).

واما قولها (عليها السلام) " لي" في قولها « أَحْيِنِي مَا علمتَ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي» فيمكن بيان دقة قولها بانها نسبت طلب ما ليس مقدرا لها ، وعممت ما هو مقدر لجميع الخلق، فهي طلبت الابتعاد عن الرغبة في ما ليس لها، وطلبت تسهيل ما قدّره الله تعالى عامة، ليكون النفع عاما والضرر خاصا فهو العالم بالخير والشر.

قولها (عليها السلام): «اللَّهُمَ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِين» (١٢) نجد اختيار الفعل زيّن والاسم زينة مع الايمان إشارة إلى بعد ادراكها (عليها السلام) لدلالة اللفظ " الظاهر أن الإضافة بيانية فالمراد به الإيمان الكامل و يحتمل أن يكون المراد بالإيمان التصديق، و بزينة الأعمال الصالحة و الأخلاق الفاضلة التي لها مدخل في كماله أو المراد بزينة يحصل من الإيمان و هي ثمرته"(١٣) .

فالإيمان ليس العمل والجزاء بل هو حلة يتزين بها المؤمن، ويتفاخر بها، ويحملها كوسام شرف، مقتبسة المعنى القرآني من قوله تعالى :﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ

﴿إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات:٧)، ويمكن الاستدلال على ان الايمان عندها (عليها السلام) ظاهر وباطن فهي تدعو إلى تمثل الايمان القلبي في ظاهر سلوكها فلا يكفي ان يكون الايمان في القلب والنفس بل على المرء المؤمن ان يستظهر هذا الايمان كزينة ظاهرة للمجتمع ليكون اداة فاعلة في تقرب وتحبب الآخرين للأفعال الحسنة المتمثلة بأفعال وتعابير المؤمن المتزين بهذه النعمة ، ويقول الشاطبي: إن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله ، وزينه في قلوبنا بذلك ، وبالوعد الصادق بالجزاء عليه(١٤)، وان يحرص حامل هذه الزينة على المحافظة على تناسق فعله مع زينته.

وانطلاقا من الفهم الأول نلج في قولها (عليها السلام) «اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِين» ، فهم الراشدون الموصوفون في الآية السابق ذكرها وهم المهتدون الذين لهم رشد فكري(١٥)، وهذه الزينة ليست للرياء بل هي كما قلنا سابقا اداة لكسب قلوب الناس إلى الإيمان الصادق، مستدلة بقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢)؛ لأن الهادي إذ لم يكن مهتديا في نفسه فلا يصلح أن يكون هاديا لغيره لأنه يوقع الخلق في الضلال من حيث لا يشعر ولو هدى غيره أيضا لم يزده في القيامة إلا حسرة" اللهم اهدنا فيمن هديت" أي: بالهدايات الخاصة من الأنبياء و المرسلين و الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين و العباد الصالحين، ولعل المعنى إني لا أستحق الهداية فاهدني فيمن هديت ببركتهم و تبعيتهم أو هو استعطاف بأنك قد هديت جماعة فإذا هديتني ليس مستبعدا أو لا مستبدعا، أو المراد أهدني فيمن هديتهم من الأنبياء و الأولياء بالهدايات الخاصة نحو هدايتهم و قيل التعدية بفي لتضمين معنى الدخول أو الاندراج"(١٦).

فالهادي للخير عليه ان يستظهر الخير القلبي في افعاله الظاهرة داعيا بذلك لنبذ الباطل واعلاء لكلمة الحق محاولا استمالة قلوب الناس إلى افعاله الحسنة وجعلهم يودون لو انهم تزينوا بزينته، فهو نورٌ لرؤية الحق وهداية الاخرين به،

و الآيات كما ترى تنسب الهداية إلى القرآن و إلى الرسول (ﷺ) في حين أنها ترجعها إلى الله سبحانه فهو الهادي حقيقة و غيره سبب ظاهري مسخر لإحياء أمر الهداية[١٧].

وفي دعاء لها (عليها السلام) قالت : « اللَّهُمَ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي.. »[١٨] تستظهر السيدة الزهراء (عليها السلام) التربية الحسنة في ترك الجشع والاكتفاء بما في يد الانسان على انه رزقه المقدر من الله تعالى، فلا ارحم من الله تعالى في تحديد مصير عبده وحياته، وقولها " قَنِّعْنِي" أي بمعنى: الرضا إذ ذكر الزبيدي رحمه الله في تاج العروس من جواهر القاموس: قَنَّعَهُ تَقْنِيعاً: رَضَّاهُ، و منه الحَدِيثُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ للإِسْلامِ، و كانَ عَيْشُه كَفَافاً، و قُنِّعَ به» كذا رَوَاهُ إِبْراهِيمُ الحَرْبِي . قلتُ: و منه أَيْضاً حَدِيثُ الدُّعَاء: «اللَّهُمَ قَنِّعْنِي بما رَزَقْتَنِي»[١٩]، وقائلة بعده« اللَّهُمَّ لَا تُعْيِنِي فِي طَلَبِ مَا لَا تُقَدِّرُ لِي»[٢٠] هنا تستجلي قوة اللفظ في (لا تعيني) وهو التعب قَنِّعْنِي بـ الشديد المرهق، فكيف إذا اتعب الانسان نفسه في طلب مالم يقدّره الله تعالى له ((كثير من أئمة اللغة يرون أن العِيّ يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة. وعن الكسائي والأصمعي: العِيُّ خاص بالعجز في الحيلة والرأي))[٢١] .

لكن العلامة الطريحي رحمه الله ذكر في مجمع البحرين : و في الحديث:" دواء العي السؤال" . هو بكسر العين و تشديد الياء: التحير في الكلام، و المراد به هنا الجهل، و لما كان الجهل أحد أسباب العي عبر عنه به، و المعنى أن الذي عيي فيما يسأل عنه و لم يدر بما ذا يجيب فدواؤه السؤال ممن يعلم، و العي قد يكون في القلب و قد يكون باللسان و" أعيا الرجل" أصابه العياء فلم يستطع المشي. و في حديث الجماعة:" فإن نسي الإمام أو تعايا فقوّموه". يريد العجز و عدم الاستطاعة على الفعل.[٢٢] فالنتيجة محتومة عدم الحصول عليه فجاء الفعل تُعييني صورة لحالة اتباع الاحلام والطموحات التي يفنى الانسان نفسه في طلبها وهي غير مقدّرة له .

وثمة ملمح في هذا القول هو انها (عليها السلام) تستظهر علم الله تعالى مقابل ضعف الانسان على معرفة ابعد مابين يديه، فلو انه فكّر بما سهله الله تعالى له

واعتنى بما وهبه الله تعالى له ولم يطلب البعيد لعاش حياته في راحة ووجد عمله سهلا ميسرا كونه قد قدّر له إذ قالت (عليها السلام): " وماقدّرته فاجعله ميسرا سهلا" .

ومن عظيم مواضع بيان التربية السامية التي ربت بها نفسها في ادعيتها قولها: « وَأَنَا أَسْأَلُكَ اللَّهُمَ ذَلِّلْ نَفْسِي فِي نَفْسِي وَ عَظِّمْ شَأْنَكَ فِي نَفْسِي» (٢٣) فإسنادها الذل لنفسها والتعظيم لشأن الله تعالى مفارقة لطيفة فهي تطلب ان تكون نفسها ذليلة أمام ربها، ولا تطلب في المقابل تعظيم الخالق لنفسه، فهو معظّم ومنزه في أصل التعظيم، ولم تطلب أيضا ان يعظم شأنه مقابل تذليل نفسها، فهذا ليس محل تقابل بين اله وعبده، بل نجدها قد طلبت ان يكون شأنه عظيما في نفسها متمكناً في ذاتها، ومستعظمة لمقامه، ومستعلية لشأنه في نفسها، فهنا نجد التقابل بين طلبها ان تكون ذليلة نفس عند نفسها وليس في عامة المواضع، فالإنسان لا يطلب الذلة ولاسيما المؤمن بل هذا خارج ما جبل عليه الانسان وأراده الله تعالى لدينه وعبيده .

قولها لأسماء بنت عميس: «أَلَا تَجْعَلِي لِي شَيْئاً يَسْتُرُنِي» (٢٤) فلم تستعمل الأمر المباشر بل استعملت التحضيض، لأنها لا تريد الاشارة اليها بصيغة الامر لبيان الاستعلاء كونها سيدة نساء العالمين وأمرها مطاع ، ((ذكر ألا هذه مع أحرف التحضيض، لكونها للطلب. ولكن التحضيض أشد توكيداً من العرض. والفرق بينهما أنك في العرض تعرض عليه الشيء، لينظر فيه. وفي التحضيض تقول: الأولى لك أن تفعل، فلا يفوتنك. قيل: ولذلك يحسن قول العبد لسيده: ألا تعطيني. ويقبح: لولا تعطيني.))(٢٥)، فذهبت إلى التلطف في طلب حاجتها منها إشارة إلى احترام الاخرين والاعتناء بالفاظنا فهذا درس عظيم، ((العرض والتحضيض، ومعناهما: طلب الشيء، لكن العرض طلبٌ بلينٍ، والتحضيض طلب بحثّ))(٢٦)، وهو نوع من الحث اللطيف.

وقولها عندما حضرتها الوفاة : «اللَّهُمَّ مَعَ رَسُولِكَ اللَّهُمَ فِي رِضْوَانِكَ وَ جِوَارِكَ وَ دَارِكَ دَارِ السَّلَامِ» (٢٧) لاحظنا أنها (عليها السلام) لم تذكر طلبها بفعل محدد بل ذكرت انها تريد مرافقة ابيها ، معتمدة ذكر المعية والمصاحبة فقط على

ان تخصص الحدث التي تريده مع الرسول صلوات الله عليه وآله، فهي تريد مطلق الوجود مع الرسول صلوات الله عليه وآله، وهذا يمكن النظر له على انه من باب التأدب مع المخاطب كونها لا تحدد له أمنيتها بل تعطيه مطلق الحرية في الاختيار فهي لا تريد سوى مرافقة ابيها، واضافت ايضا المكان الذي تريد مرافقة ابيها فيه ، وهذا المكان اضافته لضمير الخطاب الكاف العائد لله تعالى مجانسة مع كلمة رسولك ، وفي هذا لطيفة إذ إنها بإسنادها إلى الذات الإلهية لزيادة قدسيتها، واهميتها، وتخصيصها ، (رسولك، رضوانك، جارك، ودارك) .

قولها (عليها السلام): «اللَّهُمَ أَنْجِزْ وَعْدَكَ وَ مَوْعِدَكَ فِيمَنْ ظَلَمَنِي وَ ضَرَبَنِي وَ جَرَّعَنِي ثُكْلَ أَوْلَادِي» [٢٨]، تعطينا السيدة الزهراء (عليها السلام) درسا في تعامل مع وعد الله تعالى للإنسان في نصره وانتظار الفرج والنصر والغلبة على الاعداء فنجدها تمثل هذه الحالة بصورة بهية واضحة جلية في وقوفها امام الله تعالى وطلبها بالوعد والوعيد لحصول الوقت الجزاء وهو يوم القيامة ، فقولها انجز للإشارة الى الايفاء بالوعد [٢٩]، أي: إنها قد تلقت وعدا وتريد تحقيقه .

ما نلحظه هنا أنها (عليها السلام) لم تذكر الوعد باسمه ولم تشر إليه بصفة ما، بل اطلقت اللفظ كون المخاطب هو الله تعالى ولا يمكن أن فرض عليه فعلا ، فلو وعد وفى، فهي تريد بيان حقها امام الناس وليس لمطالبة الله تعالى بشيء فهي تعلم ان وعد الله تعالى حق وأحقيتها بالانجاز.

وقولها في طلب مائدة من السماء: « إِلَهِي {أَنْزِلْ عَلَيْنَا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ} كَمَا أَنْزَلْتَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكَلُوا مِنْهَا وَ كَفَرُوا بِهَا اللَّهُمَّ أَنْزِلْهَا عَلَيْنَا فَإِنَّا بِهَا مُؤْمِنُونَ»[٣٠]، في إشارة لطيفة إلى انها ليست اول من طلب المائدة؛ لأنها فارقت بين الطلبين فالطلب الأول من قوم ارادوا اثبات عدم مقدرة النبي عيسى (عليه السلام) على المعجزة ، فهم غير مؤمنين سالفا ، اما طلبها فهو مبني على ايمان مطلق وتصديق شامل ، وثقة كبيرة بقدرة الله تعالى .

قولها (عليها السلام) : «وَأَقْبِلْ إِلَيَّ بِوَجْهِكَ الَّذِي إِذَا أَقْبَلَتْ بِهِ عَلَى أَسِيرٍ فَكَكْتَهُ وَ عَلَى ضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَ عَلَى جَائِزٍ أَدَّيْتَهُ وَ عَلَى فَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ وَ عَلَى ضَعِيفٍ قَوَّيْتَهُ وَ

عَلَى خَائِفٌ آمَنْتُهُ وَ لَا تخلني لقاً لِعَدُوِّكَ وَ عَدُوِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ »[٣١] في دعاء طويل في تفريج الهموم والغموم بعد صلاتها ، قولها اقبل الي فأقبل الشيءُ إقبالاً، إذا ابتدأ بخير أو صلاح[٣٢]، وأقبل عليه بوجهه : إذا لزمه وأخذ فيه.[٣٣]، فهي تريد إقبال وجه الله تعالى اليها خاصة فتقديم الجار والمجرور هنا بين التخصيص الذي اطلقته هنا تحببا في استظهار الرحمة والخير والفلاح في اقبال وجه الله تعالى ، ومن بعدها اضافت ما في اقباله من خير ونعمة وتميز للمقبل عليه .

ونجد انها قالت اقبل لي، ومع الذين ذكرتهم الاسير والضال والغائب وغيرهم استعملت حرف الجر (على) ،إشارة منها أنها لا تريد الاستعلاء فقط، بل العناية والقرب فحرف الجر (اللام) يبين الخصوصية والتملك فقولها لي اظهار لقرب الاقبال منها لدرجة انها تستشعر ان الاقبال خصوص لها لا لغيرها ، ومن ملامح التربية التي تربت عليها الزهراء (عليها السلام) الظاهرة في هذا النص انها بتأخيرها بوجهك خففت من قوة الأمر المفروض في فعل الامر اقبل، فتقديم لي يعطي إشارة للرجاء والتمني والخضوع ، إذ ان الدعاء يتطلب استعمال افعال الامر ولكنها لمعرفتها وبعظيم مقام الله تعالى وتنزيها له وقديسا لصفاته تخفف الامر بالرجاء وتذلل نفسها بالتشبيهات التي ذكرتها بعد الامر.

فها هي ترى نفسها كأسير في الدنيا تريد ان يفكها الله تعالى من أسرها، وكضال تريد أن يأخذ الله تعالى بيدها نحو الهداية والرشاد، وهكذا ثم اخيرا تطلب في رجاء خاص " ولا تخلني لقاً عدوك وعدوي، يا ذا الجلال والاكرام" فلقا هو الشيء الملقى المهان المستصغر، فتستنجد بقوة الله تعالى وجلاله واكرامه ان لا تكون الا كريمة مجللة في عين عدو الله تعالى وعدوها.

اتضح مما سبق أن لغة السيدة الزهراء (عليها السلام) قد أبانت قصدها وغايتها في تثبيت التربية النبوية التي تربت عليها في بيت النبوة وكيف بينت هذا في خطابها مع الله تعالى وفي طلباتها وأمنياتها، وحتى في مطالبها التي وعدت بها ، وتعاملت مع اللغة بألفاظها ، باستعمال الأسماء والأفعال والحروف ، ومعانيها مثل الموت والحياة والايمان والكفر ، والزينة والقبول والهداية ، صاغت

عباراتها صياغة سلسة انسابت المعاني انسيابا عذبا ربطت الأفكار القرآنية بجملها ربطا بينت به البيئة الإسلامية الأولى التي رسمها نبي الرحمة خاتم الرسل ومن خلقه الله تعالى بأحسن الخلق ،فكانت ادعيتها نموذجا مثالا لخلق تربية إسلامية سامية .

هوامش البحث

(١)لسان العرب : ١ / ٤٠١ / ربب: : ٣٩٩.

(٢)مفردات ألفاظ القرآن : ٣٣٦،.

(٣)الإفصاح : ١ / ٩ / التربية: ٩.

(٤)التحقيق فى كلمات القرآن الكريم : ١ /٥٧

(٥)وسائل الشيعة : ٢ / ٤٤٩ / ٣٢ باب كراهة تمني الإنسان الموت لنفسه و لو لضر نزل به و عدم جواز تمني موت المسلم و لا الولد حتى البنات : ٤٤٩، وجاء تمام الحديث فيه كذا : رَوَى الْعَلَّامَةُ فِي الْمُنْتَهَى عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ وَ لْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي وَ تَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي. ﴿ينظر : المنتهى: ١/ ٤٢٥.﴾

(٦)مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : ١٢ /٤٠٦.

(٧)عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: ٩٦

(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٣٥٤/١.

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١١/ ٢٣٦.

(١٠) ينظر: القاموس المحيط: ١٣٤٣، والتوقيف على مهمات التعاريف: ٧٣٠.

(١١)تهذيب اللغة : ١٥ / ٤١٩ / وفا: ٤١٩.

(١٢)مكارم الأخلاق : ٢٨٢ / دعاء آخر عن النبي : ٢٨٢

(١٣) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : ١٢ / ٣٦٤

(١٤)انظر : الموافقات:٢ /١٣٦.

(١٥) ينظر: تبيين القرآن:٣ /١٥٦.

(١٦) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٢/: ٣٦٥.

(١٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ٢٤٥ / (بيان) : ٢٤٣.

(١٨) ينظر: مهج الدعوات و منهج العبادات : ١٤١ / و من ذلك دعاء آخر عن مولاتنا فاطمة الزهراء ع: ١٤١.
(١٩) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١١ / ٤١٠ / ﴿قنع﴾ : ٤٠٦.
(٢٠) ينظر: مهج الدعوات و منهج العبادات : ١٤١ / و من ذلك دعاء آخر عن مولاتنا فاطمة الزهراء ع: ١٤١.
(٢١)التحرير والتنوير: ١/ ٢٩.
(٢٢) ينظر: مجمع البحرين :ج١ / ٣١١ / (عيا): ٣١١.
(٢٣) ينظر: مهج الدعوات و منهج العبادات : ١٤١ / و من ذلك دعاء آخر عن مولاتنا فاطمة الزهراء ع : ١٤١.
(٢٤) ينظر: تهذيب الأحكام: ١ / ٤٦٩ / ٢٣ باب تلقين المحتضرين: ٤٢٧.
(٢٥)الجنى الداني في حروف المعاني: ١٨.
(٢٦)مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٩٧، وينظر: الصاحبي في فقه اللغة:٤٦
(٢٧) ينظر: بحار الأنوار (ط - بيروت) / ج٤٣ / ٢٠٠ / باب ٧ ما وقع عليها من الظلم و بكائها و حزنها و شكايتها في مرضها إلى شهادتها و غسلها و دفنها و بيان العلة في إخفاء دفنها صلوات الله عليها و لعنة الله على من ظلمها ..... ص : ١٥٥.
(٢٨)الهداية الكبرى / / ٤١٨ / الباب الرابع عشر باب الإمام المهدي المنتظر((عليه السلام)).
(٢٩)ينظر: العين: ٧١/٦، وأحكام القرآن:٣ /٩٢.
(٣٠)شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) / ج٣ / ٢٧ / ﴿حديث الدينار﴾: ٢٥.
(٣١)مصباح المتهجد و سلاح المتعبد : ١ / ٣٠٣ / صلاة أخرى لها ع تصلى للأمر المخوف : ٣٠٢ ، و جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع : ٢٦٩ / ذكر صلاة أخرى لفاطمة ع: ٢٦٦
(٣٢)ينظر : جمهرة اللغة : ١ / ٣٧٢ / قبل: ٣٧٢.
(٣٣) ينظر: تاج العروس: ١٥ / ٦٠١ / ﴿قبل﴾: ٥٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى:٣٧٠هـ) المحقق:عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- التحقيق في كلمات القرآن الكريم حسن المصطفوي، الناشر : مركز نشر آثار العلامة المصطفوي-طهران، ١٣٩٣هـ
- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، (المتوفى: ١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (الطوسي) - تقديم :الشيخ آغا بزرك الطهراني - تحقيق وتصحيح : أحمد قصير العاملي، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي - لبنان ،بيروت.
- تبيين القرآن،آية الله العظمى الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي،الناشر : مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تهذيب الأحكام: أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطّوسي﴿شيخ الطائفة﴾، المحقق:السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، المطبعة : خورشيد
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت ، دمشق،الطبعة الأولى ، ١٤١٠.
- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: السيد علي بن موسى بن طاووس. المحقق: جواد قيومي الجزه اي الأصفهاني الطبع مطبعة اختر شمال، الطبعة الأولى: ١٣٧١..
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

- الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) : للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي المتوفي سنة ٣٦٣ هـ. ق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد(المتوفى: ٦٥٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: على أحمد عبد العال الطهطاوى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، باشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- مجمع البحرين: ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجى، نصراني الديانة (المتوفى: ١٢٨٧هـ)، الناشر: المطبعة الأدبية، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المقدمة بقلم: السيد جعفر مرتضى العسكري، الناشر: دار الكتب الاسلامية.
- مصباح المتهجد و سلاح المتعبد ، اسم المؤلف: محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، طبعه ايران سنه ١٨٩٦.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، (٧٦١هـ)، تحقيق د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله تعالى، الناشر دار الفكر، سوريا دمشق، ١٩٨٥م.
- مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد(ت ٤٠١ ه) الناشر: دار القلم ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤١٢ ه .
- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي، (المتوفي: ٥٤٨)، الطبعة: السادسة: ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م.
- منتهى الإرادات: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (٩٧٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- مهج الدعوات ومنهج العبادات: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى المصححة ١٩٩٤.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ميزان الحكمة - محمد الريشهري محمد الريشهري، الناشر : دار الحديث – قم، ١٤٢٢ه.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، تأريخ الاصدار : ١٤١٧هـ.

- الهداية الكبرى: ابي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي، الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٩٩١.
- وسائل الشيعة وسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي، المتوفي: ١١٠٤، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، ١٤١٤.